لو جمعنا في مكان واحد كمية البترول التي تستخرج في عام واحد لتكونت منها بحيرة يبلغ عمقها ٢٠ متراً وطولها أربعة كيلومترات وعرضها كيلومتراً واحداً

تاريخ البترول

للبترول أو الزيت الحجري شأن عظيم في تاريخ الانسانية وأهمية عظمى في تاريخ الصناعة ورقيها . قال أحد الاحصائيين انه لو جمعنا في مكان واحد كمية البترول التي تستخرج في عام واحد لتكوّنت منها بحيرة يبلغ عمقها ٢٠ متراً وطولها اربعة كيلو مترات وعرضها كيلومتراً واحداً وتصلح هذه البحيرة لأن يمخر عبابها اسطول كبير من البواخر التجارية . غير ان نقصان كمية المستخرج منه عاماً بعد عام أوجد اضطراباً وقلقاً في نفوس الناس الذين أخذوا منذ عهد بعيد يبحثون عن وسيلة أخرى لوقود تقوم مقام « خبز الصناعة السائل » كما لقبوا البترول

ان تاريخ البترول مرتبط ارتباطاً متيناً بتاريخ الانسانية وقد ظهر ذلك بأجلى بيان في الروايات الخرافية والتقاليد والاقوال العديدة عن عبادة النار التي عبدها الناس من أقدم الازمان . وقد وجدوا في مدينة باكو في القوقاس كتابات قديمة على انقاض هياكل النار ذكر فيها البترول وذكر بعض المؤرخين الثقات ان اليهود اقاموا بجوار البحر الميت سوراً عظيماً بنوا في داخله هيكلا . وعلى بعد خمسة عشر كيلومتراً من باكو بنى الفرس هيكلا للنار لأن الاراضي في هذه الجهة منشربة بالبترول ويخرج منها في اماكن مختلفة غازات حارة تلتهب ملتهبة أياماً طويلة حتى يطفئها الهواء وكان الفرس والهنود يتقاطرون أفواجاً للسجود للنار في هذا الهيكل العظيم لاعتقادهم الراسخ بأن هذا « الاله » يطهر كل شيء كما يطهر قلوب الناس من أدران الفساد . واذا سار الانسان ليلا في هذه الجهة يتمثل أمام بصره منظر يخلب الالباب ويتلاعب بالعقول فانه يرى أعمدة من

الغازات متصاعدة في الجو ذات الوان مختلفة خلابة تختفي تارة وتظهر أخرى

ويصعب تعيين الوقت الذي أخذ الناس في هذه الجهة يستعملون البترول للانارة أو للطبخ ولكن لحد اليوم اذا أراد أحد الاهالي الحصول على النار فانه يغرز في الارض أنبوبة مستطيلة ويشعل عوداً من الثقاب أمام فوهتها العليا فيخرج منها لهيب كلهيب « وايبور برنرس » المعروف واذا أراد اطفاء النار فانه يكفيه أن يسد فوهة الانبوبة

وعليه فان الهنود والفرس من أقدم الازمان كانوا يعبدون النار المتخذة من البترول وكذلك المصريون كانوا يستعملونه في صناعة التحنيط فانهم كانوا يغمسون النسيج الذي يلفون به المومیا بالبترول ثم ان أهل بابل استخرجوا من البترول الاسفلت الذي كانوا يخلطونه بالتراب ويستعملونه كما نستعمل (السمنتو) الآن

وفضلاً عن هذا وذاك فان كتب المصريين والفرس القديمة تدل دلالة واضحة على أن الاطباء استعملوا البترول كعلاج مسكن للامراض والآلام العصبية بل شافٍ لها

ومن الامور المدهشة التي توصلت اليها الكيمياء انه في معرض بروكسل العام الذي أقيم عام ١٩١١ شاهد الناس على مائدة زجاجة رائحة ذكية مستخرجة من الزهور الطبيعية والى جانبها زجاجة أخرى مستخرجة رائحتها من بقايا البترول وقد شم الناس هذه الرائحة وتلك فلم يستطيعوا ان يفرقوا بينهما في شيء . ورأى زائرو المعرض على مائدة أخرى مجموعة أرواح ذكية طبيعية وصناعية (من البترول) فلم يستطيعوا أن يميزوا هذه من تلك . كما انهم شربوا شراباً مصنوعاً من البترول ولم يفرقوه عن الشراب المصنوع من عصير الليمون

والبترول أو النفط كما يعبر عنه الغربيون تاريخ هام طويل ولاسيما النفط الروسي المستخرج من جهات باكو في القوقاس وأول صهريج حفر له كان عام ١٨٦٥ وتزايد عددها تدريجاً حتى بلغ عددها عام ١٩١٤ الف صهريج في باكو وحدها وحفروا آباراً عديدة في جهات كوبان وتركستان ومايكوب وحول مدينة

جروزني . والآبار التي حفروها في باكو تدفق منها البترول في أول أمرها تدفق السيل المنهمر بل انه كان يندفع منها كالمثواب ويتصاعد الى الجو (كالنافورة) أو بعبارة أوضح كالشلالات وفي عام ١٨٧٤ لاحظ مستخرجوه ان قوته أخذت بالنقصان فحاولوا الحصول على كمية أوفر فعمّقوا الثقب وغرزوا فيه أنبوبة على عمق يتراوح بين ٢٨ و٤٠

نافورة بترول

متراً فتدفق منها البترول وارتفع الى علو شاهق وحدث ان اشتد الدفع فأطار التيار الانبوبة الحديدية الغليظة وجعل الغاز يتدفق ويقذف معه حجارة ورملاً وبلغت كمية البترول المستخرج ١٨٠ بوداً في اليوم (البود وزن روسي يساوي ٢٠٠٠٠ جرام) وفي خلال أربعة اسابيع تكونت أربع بحيرات من البترول . ويوجد ينابيع كثيرة في جوار باكو تخرج مثل هذه الكميات العظيمة

وأما تاريخ النفط في أميركا فانه يرجع إلى عام ١٨٥٨ عند حفر المستر دريك أول صهريج كان على عمق ثلاثة أمتار كانت تعطيه ٤٥٠٠ لتر في اليوم ثم جاء بعده غيره ممن حفروا الآبار في مقاطعة تيتوسفيل المجهولة من قبل ولم تمض مدة حتى قامت فيها مدينة عظيمة وجرى مثل هذا في مقاطعة فرانكلين المجاورة لها وكانت من قبل اراضيها لا تساوي شيئاً ولكن عندما وجدوا فيها ينابيع البترول ارتفعت اثمانها التي ضعف وأصبح فلاحوها الفقراء أغنياء . ومما هو جدير بالذكر تاريخ النفط في مقاطعة كيري التي تألفت فيها شركة فقيرة لاستخراج البترول ولكنه ما مضى عليها عام واحد حتى توسعت ادارتها وانشأت مدينة بلغ سكانها في عامها

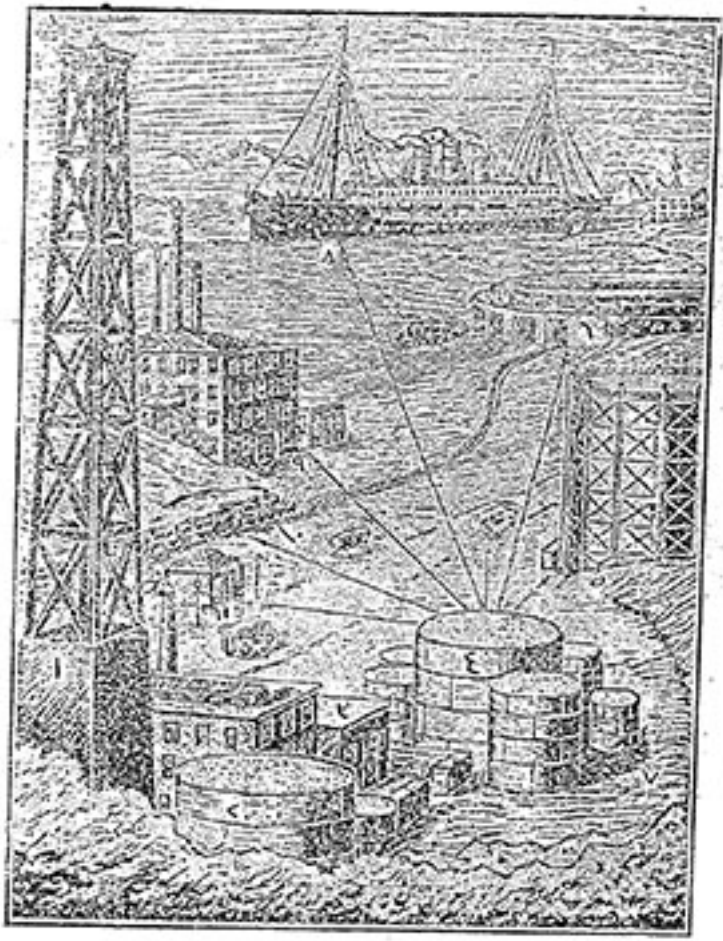

رسم محل استخراج البترول وادارته

(١) طليعة (سلم) البترول في مكان استخراجه (٢) خزان لحفظه (٣) معمل لتطهيره (٤) نتائج التطهير : نفط للوقيد وغاز ولين وغاز الاستصباح وزيت الدهن واسفلت وغيرها (٥) معمل للغازن (٦) مخزن للسكة الحديد (٧) موتور الصهريج (٨) باخرة لنقله (٩) معمل (فاوريقا) (١٠) مركبات الصهريج مخزن نجاري

الاول عشرة آلاف نفس اكثرهم من العمال . وكان صاحب كبري المستر جون ستيل يتيما فقيراً متطوعاً فتبنته ارملة غنية لم يكن لها اولاد . وبما ان الارض

كانت جدباء قليلة الخصب لم يكن يقبل أحد على ابتياعها وكان بها ينبوع زيتي (أويل ـ كريك) والاراضي المجاورة لها كانت مشبعة بالنفط . فذهبت يوما صاحبة تلك الاراضي وأخذت تجمع النفط فسقطت بعض نقط منه على ملابسها وعند ما دنت من النار اشتعلت ملابسها واحترقت هي وبيتها وقد وجه هذا الحادث التفات تجار البترول فتقاطروا على تلك الجهة من كل فج سحيق وأصبح البتيم سنبل بعد ذلك من أصحاب الثروة الطائلة .

هذه لمحة موجزة من تاريخ غاز الاستصباح الذي له شأن يذكر في رقي الصناعة في القرن العشرين ولذلك فاننا لا نستغرب اذا رأينا تجاره الاميركيين الذين احتكروه يلقبون بالملوك الغير المتوجين لتأثيرهم الشديد على الصناعة . ان الانجليز عندما احتلوا باكو استخرجوا منه كميات هائلة وقد وجهوا التفاتهم بعد ذلك إلى منابعه الغزيرة في الموصل وبلاد فارس . وقد حال هذا تجار البترول الاميركيين فعقد اتحاد نقابة المعدنين منهم مؤتمراً رفعوا في نهايته احتجاجا الى حكومتهم قالوا فيه أن احتكار الانجليز لمنابع البترول في الموصل وبلاد فارس يؤثر على تجارتهم فاضطرت حكومة الولايات المتحدة إلى انذار الحكومة البريطانية بأنها لا توافق مطلقاً على احتكارها لمنابع البترول في تلك الجهات . الامر الذي فت في عضد الانجليز وأقض مضاجعهم

وفي أوربا الغربية توجد منابع للبترول على أسداد جبال الكربات في غاليسيا وفي رومانيا وقليل منه يستخرج في المانيا وفي مقاطعة بارم في ايطاليا وفي آسيا توجد له منابع في برما والهند واليابان وفي افريقيا توجد له منابع على شاطئ البحر الاحمر حيث جعلت الحكومة المصرية تستخرج منه كميات قليلة

ولا يخفى أن البنزين من أهم أسباب نجاح الطيران في هذه الايام وهو يتخذ من البترول . وقد سافرت عدة بعثات اوربية للبحث عن منابعه في افريقيا .

(عن الروسية)